مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد08 العدد: 02 جـــوان (2024) ص64/49

الاتصال بين التراث والحداثة.

The connection between heritage and modernity

معزوز خيّرة

جامعة تيسمسيلت (الجزائر)

maazouzk130@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
13/ 11/ 2022
تاريخ القبول:
2024/01/17

الكلمات المفتاحية:
- ✓ اللغة:
- ✓ الاتصال:
- ✓ التراث والحداثة:

الملخص:(لا يتجاوز 10 اسطر)

إنّ الأساس الذّي تقوم عليه البشرية منذ الأول إلى يومنا هذا هو الاتصال سواء كان لغوياً أو غير ذلك عن طريق الإيماءات والإشارات والرّموز وغيرها من الآليات والوسائل الّتي تساهم في إنجاح عملية الاتصال تحقيقها.

وكان الاهتمام عند العرب والمسلمين محاذيًا وموازيًا لاهتمامهم باللّغة العربيّة بكلّ مستوياتها الصوتيّة والتركيبيّة، فألفُوا كتبًا قيّمة يزخر بها تراثنا الأصيل كالبيان والتبيين للجاحظ وأدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل في اللّغة والأدب للمبرد، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني..... ولذلك كان الاشكال كالآتي: أين يوجد الاتصال بالتراث العربي؟ وهل يمكن التأصيل لنظرية اتصالية عربية؟ وعليه اشتغل الباحثون على التراث بهدف الكشف عنه، بتطبيق أحدث المناهج في التحليل والفهم ، والحاقه بالحداثة والمعاصرة أملا بتصورات عربية أصيلة خاصة وأن نظريات الاتصال تبلورت عند الغرب.

Article info

Received
13/11/ 2022
Accepted
17/01/2024

Keywords:
- ✓ *Language*
- ✓ *Contact:*
- ✓ *Heritage and Modernity*

Abstract :

The foundation upon which humanity has been based since the first eras to this day is communication, whether linguistic or otherwise, through signs, gestures and symbols, and their realization. The interest among Arabs and Muslims was paralleled by their interest in the Arabic language at all levels, so they wrote valuable books in which our authentic heritage was mocked, such as the book of Al-Bayan and Al-Tebeen by Al-Jahiz.And the writer's literature for Al-Mubarrad and the evidence of the inimitability of Al-Jarjani ... Therefore, the following problem was formed. Where is the contact in the Arab heritage? Is it possible to root for an Arab theory?

• المؤلف المرسل

Accordingly, the researchers worked on heritage with the aim of revealing it by applying the latest methods in analysis and understanding and attaching it to modernity and contemporary in the hope of authentic Arab perceptions, especially since communication theories crystallized in the West

1. مقدمة:

عرف الإنسان مراحل انتقاليّة بفضل الاتصال مّما يدّل على قدرته وتطورّه، فهو دائمًا في تغير وتبدُّل مُستمر من عصر ما قبل نشوء اللّغة إلى عصر اللّغة التَّصورية ثم عصر اللّغة ثم عصر الكتابة ثم عصر الطّباعة ثم الاتّصال الجماعي والفضل في ذلك تكنولوجيا الاتّصال.

فالعلماء العرب لم يتجاهلوا هذا النشاط الذي يحدث باستمرار ويجري على نطاق واسع ،لكن ليس بالشكل الذي حدده علماء الاتصال كمفهوم معاصر ،وعليه ينبغي طرح الاشكال الاتي: هل يوجد الاتصال في التراث العربي؟ وكيف يمكن التأصيل لنظرية اتصالية عربية؟

وللإجابة،علينا بدراسةالمؤلفات التراثية التي تحدثت عن الاتصال (المفهوم المعاصر) باسم البلاغة والفصاحة والبيان وغيرها من المفاهيم التي توحي بالاتصال،كما هو الحال في : الكامل في اللغة والادب للمبرد،وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري و البيان والتبيين للجاحظ و غيرها من الكتب التراثية التي تحمل شذرات اتصاليةلها علاقة بما قدمه الغرب في مجال علم الاتصال.

و الغاية منه الوصول إلى حقيقة وجود تصورات اتصاليةعربية،ذات عمق و أصالة تقترب من نظريات الاتصال المعاصر اعتمادا على المنهج الوصفي في تقصي الحقائق التراثية و مقاربتها بما هو حديث و معاصر.

1. مفهوم الاتصال:

أ. لغة:

الاتصال بمعناه اللّغوي يعني الإبلاغ والتّوصيل والإجماع والإنفاق عن غرار التّصارم والانفصام قصد بلوغ الغاية حيث مشتق من مادّة **وصَلَ:** بمعاني متعددة، ويقال: وَصَلْتُ وَصْلاً وصلَةً، والوَصْلُ ضّد الهجران، وفَصل الشيء بالشيء يصِلَه وَصْلاً وصِلَةً: **{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}** (سورة القصص: 51). واتّصَلَ الشّيءُ بالشَّيْءِ لَمْ يَنْقَطِع أيْ: أَجْمَعَهُ، ووَصَلَ الشَّيءُ إلى الشَّيْءِ وُصُلاً، وتَّوَصَّل إليه: انتَهَى إليه وَبَلَغَهُ، ووَصَّلَه إلّيْهِ وأَوْصَلَهُ: أَنْهَاهُ إلَيْهِ وأَبْلَغَهُ إيَّاهُ.

واتَّصَلَ الرَّجُلُ: «**انْتَسَبَ، وفي ذلك قول الأعرابي: إلاَّ الذّين يصِلونُ إلى قَوْمٍ أيْ: يَنْتَسِبُون** ». (ابن منظور، 1997، صفحة 936)

ووَرَد في المصباح المنير: وَصَلْتُ إليه، أَصِلُ وصُولاً، والمَوْصِلُ اسْمٌ لمَسْجِد، وبه سُمِيّ البَلد المعروف في العراق، ووَصَل الخَبَر: بَلَغَ وصَوْم الوِصَال:

«وهو أن يَصِل صَوْم النَّهار بإمسَاك اللّيل مَعَ صَوْمِ الّذي يَلِيه دُون أن يأكُلَ شَيْئًا ». (الفيُّومي المقري، 1987، صفحة 254)

ب . اصطلاحًا:

تعود كلمة اتّصال Communication إلى الكلمة اللاّتينيّة Commuis ومعناها Common مشترك أو عام. (حسن عماد المكاوي و ليلى حسين السّيد، 2004، صفحة 23)

أمّا في اللّغة الفرنسية فإنَّها تعني إقامة علاقة بين كائنين أو شيئين (Lucien SFES , 1993, p. 05)،وإلى فعل التّوصيل والتّبليغ.(Tzvetan Todorov & Oswald Ducrot, 1972, p. 216)

ويعرفه علماء الاتّصال على أنّه عملية (Procecce) أي Dperation كجهان رشتي ومحمود عودة وتضاف إليها كلمة الاتصال لتصبح "عملية الاتصال" :**«وهكذا فإنَّ عملية الاتصّال هي الحامل للعمليات الاجتماعيّة، إنّها الوسيلة الوحيدة الّتي يملكها الإنسان لتنظيم وتثبيت وتطويع حياته الاجتماعيّة، ونقل أشكالها ومعانيها من جيل إلى جيل...»**.(عبد العزيز شرف، صفحة 57)

فالإنسان لا يقوم بعملية واحدة وإنّما بعدة عمليات **«لاتساع مجالاته وانشغالاته بحسب الظروف والمواقف المحيطة بها، فهو العملية الّتي مضمونها نقل الرّسالة من شخص لآخر»**. (صالح خليل أبو أصبع، 1998، صفحة 13)

أمّا بيرلسونوستاينر: " BetLsonet Steiner" فعرفاه على أنّه **«عملية نقل المعاني والمعلومات والرّغبات والمعرفة والتّجارب شفويًا أو كتابيًا قصد الإقناع والتّأثير على السّلوك** »(فضيل دليو، 1998، صفحة 18). فالاتصّال في أوسع معانيه يعني تلك العمليات المختلفة الّتي يقوم بها الإنسان من نقل وتبادل وتخزين وإنتاج للمعلومات والأفكار وغيرها قصد تحقيق حاجياته وإشباع رغباته، فهو ذلك النشاط الفعّال المتحرك أساسه الإنسان مؤثرًا ومتأثّرًا.

3.الاتّصال أم التّواصل أم الإعلام:

كثيرًا ما نسمع هذا التّضارب في المصطلح ممّا زاد في غموض وإبهام القارئ، ومادّة وَصَل: لها معاني متباينة في اللّغة العربيّة وهي بمعنى اتّصل وبَلَغَ، وتختلف مدلولاتها بالاختلاف البنيات التّركيبية لها، وهي تحمل المفهوم نفسه في نظريات الاتصال والإعلام وعليه فا «معنى الاتّصال أعَمُّ من معنى التّواصل لأنَّ التَّواصل من التّفاعل »(عبد الجليل مرتاض، 2000، صفحة 52)، حيث أنّ التّفاعل هو المشاركة وتفاعل بمعنى تشارك «وأمَّا تَفَاعَلْتَ فلا يكونُ إلاَّ وأنْتَ تُريد فعل اثنين فصَاعدًا ولا يجوز أنْ يكون مُعْمَلاً في مَفْعُولٍ، ولا يتعَدّى الفِعلُ إلى منصُوب »(سبويه، 1988، صفحة 69). ففَاعَلَ

وتَفَاعَلَ تَدُّلاَن على المُشَارَكَة: « اعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: فَاعَلْتَهُ، فقد كان من غيرك إليكَ مِثْلُ ما كَانَ مِنْكَ إليه حينَ قُلْتُ فَاعَلْتُه، ومثْلُ ذلك: ضَارَبْتُه، وَفَارقْتُه، وَكازمْتُه.... »(سبويه، 1988، صفحة 68). أمَّا "وَصَلَ" على وزن فَعَلَ "تواصَلَ" واتّصَلَ على وزن افْتَعَلَ الّتي تعني وَصَل نحو: « اشْتَوىَ القَوْم أيْ اتَّخَذُوا شِوَاءً، وأمَّا شَوَيْتُ، فكقولك: أنْضَجْتُ، وكذلك اخْتَبَزَ وخَبَزَ».(سبويه، 1988، صفحة 74)

وكانت العربُ تقُولُ: « **تَوصَلَ إليه أيْ تلطَّف في الوُصُولِ إليه**».(ابن منظور، 1997، صفحة 728)

«**والتّواصل يعني التَّلاقي أو الالتقاء**». (مختار محمد فؤاد، 1992، صفحة 49)

في اللّغة العربية، وتواصَل على وزن تفاعلَ، غير أنَّ كلمة اتّصال على وزن افتعال، وهي مشتقة من الوَصْل الذي يعني جمع الشيء بالشيء، ومنها وَصَل المكان أيْ بلَغَهُ، وتَواصَلاَ الرجلان أي تَلاقَى وتفاعَلاَ، حتّى أنّ منذر عيَّاش أثناء ترجمته لكتاب: علم الإشارة: وظّف مصطلحي الإيصّال والاتّصال دون أنْ يفّرقّ بينهُما ممّا جعل القارئ يشعر بالغموض والإبهام وحتّى ترجمة كلمة Commonication تعني اتصّال أو إبلاغ أو إطّلاع وهذا الاختلاف أدّى إلى تشويش المتلقي.

وفي بعض الدّراسات اللّسانيّة الاتصال مرادفٌ للتّبليغ « **إنَّ هذا الحقل المسمَّى حقل التّبليغ أو الاتصال أصبح شيْئًا مألوفًا مُهمًا في حياتنا المعاصرة، وقد أصبحنا نعيره انْتبَاهَنا في جميع مجالات حياتنا الّتي نَعيشها** »(مازن الوعر، 1988، صفحة 31).لأنَّ مصطلح التّبليغ يدّل على عنصرين فعّالين في عملية اللّغة وهما المتكلم والمستمع.

في حين أنّ كلمة اتّصال «**تدّل على عنصر فعال واحد هو المتكلّم، نحو المُذِيعُ الذي يتصل بالجمهور لأنَّ هذا الأمر لا يستطيع أنْ يتصّل به ويخاطبه** »(مازن الوعر، 1988، صفحة 31). ويتضح لنا جليًّا أن الفرق يمكن في أنَّ الاتصال لا يدّل على التّفاعل، أو بالأحرى لا ينتظر منه رجع الصّدى، غير أنّ التّواصل يعني التّفاعل والمشاركة والاتصال يعني إرسال الرّسالة إلى المتلقي دون أي استجابة منتظرة، ومن ثمّ علينا أنْ نميّز بين الرّسالة الّتي يستجاب لها والّتي لا يستجاب لها، فالرّسالة الأولى تواصليّة والثّانية اتّصاليّة: « **ونطلق عليها كلمة التّواصل لأنَّ الكلمة تحملُ في طيّاتها وجُود رَجع من المُتلقي، أو أنَّها تحْمِلُ معنى المشاركة والتّفاعل والاستمراريّة، وهما من سِمات عمليّة الاتصال الناجحة**»(جيهان احمد رشتى، 1978، صفحة 13). فالاتّصال النّاجح هو الذي يحقق التّواصل، ومازال الإشكال قائمة بين المصطلحات المتشابهة وخاصّة الاتّصال والإعلام، فيتّسع هذا الأخير ليشمل مفهوم الاتّصال، وكثيرًا ما نسمع تداول وسائل الإعلام بدل وسائل الاتصال: «**إنَّ أبْحاث الاتّصال تهتّم بعمليّة الاتصال والإعلام معًا، فأي بحث يجب أنْ يتناول الجانبين، ونبرّر ذلك بعجزنا عن فهم ما تنشره أو تذيعه وسائل الإعلام المختلفة دون أن ندرك عملية الاتّصال** »(جيهان احمد رشتى، 1978، صفحة 13). ولفظة الإعلام مشتقة من "أعْلَمَ" على وزن "أفْعَلَ" مزيد بحرف من الثلاثي عُلِمَ على وزن فُعِلَ وهي: «**تعني نَقل خبر لمتلقٍ بعينه أو لعامّة النّاس..... معنيين بما تشبه وسائل الإعلام، ولذلك وظّف فعله الرّباعي (أفعل) لازمًا، أَعْلَمَ الفَارِسُ، أي جَعلَ لنَفْسِه علاَمَةً يُعْرَفُ بها دلالة على الشجاعة والتّحدي..... ».** (عبد الجليل مرتاض، 2000، صفحة 35) فالإعلام يمنحنا كميّة من المعلومات وفق عمليّة الاتّصال:« **فكثيرًا ما نتحدّث وبكل سُهولة**

عن اتصال المعلومات القائمة أساسًا على الأحداث، فلا وجود للشّك حول المعاني المختلفة لهذه الكلمة » (ELement de semantique , p. 33). ونصل أنَّ الإعلام :« **ظاهرة اتّصاليّة إنسانيّة يتم توصيلها إلى المتلقين بوسائل الاتّصال الجماهيريّة الّتي باتت تُعْرف باسم وسائل الاتّصال الجماهيريّة(Mass Media) وهو اتّصال مؤسسي يستهدف جمهورًا واسعًا متعدد الاهتمامات والمصالح...**».(صالح خليل أبو أصبع، صفحة 35)

وعليه فالاتّصال أعّم من الإعلام:

الاتّصال = الإعلام + التّفاعل.

وذلك أنّ:« **كلمة إعلامي تعني إذن وجود معنى لكن لدَى المتلقي في حين أنّ كلمة (تواصُلي) تعني وجود معنى لدَى البَاث**»(ELement de semantique , p. 34). فالاتّصال والإعلام يشتركان في مادة الخام وهي اللّغة الّتي تعتبر أداة تبليغ من جهة وتمثل الإعلام من جهة أخرى.

4.الاتّصال عند القدامى:

لعلماء البلاغة واللّسان العربي الفضل في إدراك التواصل وفهمه ونظرتهم لا تقل في أصالتها عن علماء الاتّصال والإعلام.

01 . الجاحظ (ت / 255هـ) :

تطرق الجاحظ لهذا المفهوم من خلال معالجته للقضايا الّتي ظهرت في عصره ورأى «**أنّ الاتّصال الوسيلة المثلى لذلك حيث أدرك أنّ اللّغة تواصليّة بشكليها المنطوق والمكتوب ولها سماتها الّتي تحرص على مراعاة القواعد اللّغوية من حيث البساطة في الأسلوب والوضوح والاختصار،وسرعة النّفاذ، فرأى أنّه على المتكلّم أنْ يوازن بين المعاني وأقدارها والحالات الّتي ترد عليها** »(الجاحظ، 1995، صفحة 138). وهذه السّمة: « **جعلت علماء الصحافة والإعلام يذهبون إلى أنّ الجاحظ وهو من كُتاب القرن الثالث الهجري جدير بأنْ يكون أوّل صُحفي ممتاز لَوْ أنّه عاش في القرن الّذي نعيش فيه**».(عبد العزيز شرف، صفحة 494)

وتحدّث عن الاتصال باسم البيان: « والبيان اسْمٌ جامعٌ لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضّمير، حتّى يُفْضى السّامعُ إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدّليل، لأنّ مدار الأمْر والغاية الّتي إليْها يجري القَائل وَالسَّامعُ، إنَّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحْت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»(الجاحظ، 1995، صفحة 76).

ويذهب إلى أنّ البيان نعمة إلهية منحها اللّه لبني البشر، لتكون وسيلة لقضاء حاجاتهم وحلّ مشكلاتهم ونزاعاتهم، ومعرفة مواضع النّقص والشّبهة والحيرة « **وهو البيان الّذي جعله اللّه تعالى سببًا فيما بينهم، ومعبّرًا عن حقائق حاجاتهم ومُعرّفا لمواضع سدِّ الخُلّةِ ورفع الشّبهَة ومُدَاواة الحيرة** »(الجاحظ ، 2002، صفحة 35). وهو يحمل نفس

المفهوم المعاصر الاتّصال « **الّذي يعني انتقال المعلومات والأفكار والاتّجاهات، وهو كذلك أسَاس كلّ تفاعل اجتماعِي، ويُيسّر التّفاهم بين الأفراد**». (عبد العزيز شرف، صفحة 18)

ويمكن تفسير ذلك بالمخطط الآتي:

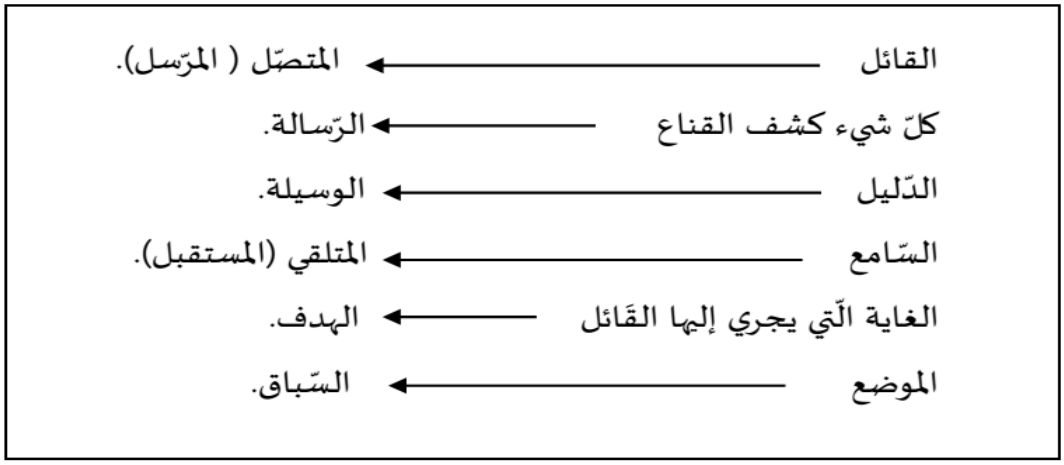

وهو ما يطابق جلّ نظريات الاتصال المعاصرة عند برلو وهارولد لازويل وروس وشانون وويفير وغيرهم من علماء نظريات الاتصال المعاصرة.

02 . المبرد: (ت / 285هـ):

تطرّق أبو العباس محمد بن يزيد للاتصال وأنواعه، فأشار إلى أنّه يمكن التّواصل بواسطة الفعل الكلامي وخاصة إذا كان موجزًا مُفْهِمًا، وابتعد عن الإطناب المفخّم الّذي يعيق عمليّة الاتصال كما أشار إلى وسائل أخرى يمكن التواصل بها كالإيماءات والإشارات، وغيرها من وسائل التواصل.

ويستلزم التّواصل الكلامي: La connunication do parole استعمال الألفاظ البّينة القريبة المفْهمة، الحسنة الوّصف، أي النّظم وهي تعتبر من الشروط الأساسية لنجاح الرّسالة: « **من كلام العرب الاختصار المفهم والإطنابُ المُفخّم، وقد يقع الإيماء إلى الشيء فَيُغْني عند ذوي الألباب عن كشفه، كما قِيلَ لَمْحَةً دّالة، وقد يضطر الشاعرُ المفلق والخطيب المصْقع، والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المَعْنى المستغلق واللّفظ المستكره، فإنْ انعطفت إليه جنبَتا الكلام غطَّتا على عَوارِه وسَتَرَتَا منْ شَيْنِه (.....) فمن ألفاظ العرب البيّنة القَريبَة المفهمَة الحَسَنة الوَصف الجميلة الرَّصق**»(المبرد ، 1999، صفحة 17).ويميز بين الكلام إذ جعله في نوعين: مُفهم يحقق التّواصل وإطناب مفخّم يعيقه، وأنّ الإيماءة أو الإشارة أبْلَغُ في التّواصل وعبر عنها: " لمحة دّالة ".

ويشترط في الرسالة الواضحة أن تكون بيّنة قريبة ومفهمة، جميلة الوصف، وأنْ يتخلص مرسِلُها من التكلّف والتّزيد والابتعاد عن الاستعادة ويقصد بها الكلام الخارج عن طاقة المستمع إليه وهو ليس بحاجة له، إمَّا للتّوضيح أو التّصحيح أو الإضافة مَا: « **وأمَّا ما ذكرناه من الاستعانة فهو أنْ يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليصحّح به نظمًا أو**

ليتذكر به ما بعده إنْ كان في كلام منثور كنحْوِ مَا تَسْمَعه في كثير من كلام العامّة مثل قولهم: أَلَسْتَ تَسْمَعُ، أَفَهِمْت أين أنْتَ وما أَشْبَهَ هذا»(المبرد ، 1999، صفحة 17). في حين أنّه ذكر الأسباب الّتي تؤدي إلى فشل تلقي الرّسالة: «**وربَّما نُشَاغِلُ العَيَّ بفَتْلِ أصْعَد ومَسيّ لحيتِه وغير ذلك من بدنه وربَّما تَنَحْنَح**»(المبرد ، 1999، صفحة 17).

03 . ابن وهب الكاتب (ت /335هـ):

ذكر البيان في أربعة أقْسَام:

أ . بيان الأشياء بذواتها والقصد من ذلك أنّ كلّ شيء في الوجود يبين عن نفسه ويرسل علامة أو رسالة للمتلقي لذلك استنطقت العرب الطبيعة وحاورت الطّلل لتُعرب عَمّا يجيش بخاطرها: { **وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةًۖ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** } (سورة العنكبوت، 35)

ب . البيان باللّسان:

تكمن أهمية اللّسان في درجة البيان والإفصاح فاللّسان المنطوق أكثر وضوحًا من المكتوب، مثلمَا هو الحال عند الإنسان النّاطق والإنسان الأبكم ودرجة البيان وتختلف من واحدٍ لآخر.

ج . البيان بالكتاب:

أراد اللّه . سبحانه وتعالى . أنْ يربط بين حاضر الإنسان والماضي والمستقبل، فألهم عباده بحروف اصطلحوا عليها، فحفظوا علومهم، وبلغوا غاياتهم: «***اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ***».(سورة العلق، 513)

وهذه المعارف المتعلقة بالبيان أو الاتصال قد ذكرها في كتابه:" البرهان في وجوه البيان".

04 . ابن جني (ت / 392هـ):

لقد عرّف ابّن جني اللّغة على « **أنَّها ظاهرة صوتيّة اجتماعيّة، ووسيلة أساسيّة في التّعبير عن أغراضهم** ».(ابن جني، 1983، صفحة 33) وهي تعبيريّة يعبّر بها القوم عن حاجياتهم، فهي تعبيريّة توصيليّة وظيفتها الإبلاغ والتّواصل.

05 . أبو هلال العسكري (ت / 395هـ):

تحدث عن الاتصال في سياق حديثه عن البلاغة والفصاحة وإنْ كان يختلفان في الأصل إلاّ أنّهما معنى واحد وهو الإبانة عن المعنى والإظهار له، فعبّر عن البّلاغة: « البلاغة من قولهم: بَلَغْتُ الغاية إذا انتهيْتُ إليها وبلغتها غيري (...) فسميّت البلاغة بلاغة لأنّها تُنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه (...) والبلاغ أيضًا التبليغ في قوله . عز وجل :{ ***هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ***} (سورة إبراهيم، 52).

أي: تبليغ ... »(أبو هلال العسكري، 1998، صفحة 12). وتكلّم عن الفصاحة على أساس أنّها الإظهار والبيان: « **فأمّا الفصاحة فقد قال قومٌ إنّها من قولهم: أفْصَح فلان عَمَّا في نفسه إذا أظهره، والشاهد على أنّها هي الإظهار، قول العرب: أفصحَ الصّبح إذا أضاء (.....) وأفصح الأعجميّ إذا أبان .....** »(أبو هلال العسكري، 1998، صفحة 13).فالإظهار والبيان بمعنى إزالة الغموض، ومن ثمّ الإدراك والفهم وتحقيق الرّسالة النّاجحة تتطلّب: « **وحقق التّواصل بين متكلّم ومستمعٍ مادَام بينهُما اصطلاحٌ منْها كان مستواه اللّغوي لتأدية ما يقع بينهما من تخاطب** »(حمد رشاد الخمراوي، 1982، صفحة 19).

وفي سياق آخر يتحدّث عن الرّسالة اللّغوية أيّ نظم الكلام الّذي يتمثّل في حسن التّأليف والتّركيب، ووضوح المعنى، فنظم الكلام ومن موقعه له صدى عند السّامع وقد ماثله بالعقد الذي إذا ضمَّت حياته بدَا رائعًا في المرأى، وعكس ذلك صحيحًا.

« **وحسن التأليف يزيد وُضوحًا وشَرْحًا، ومع سوء التأليف ورداءة الرّصف والتّركيب شُعبة من التعميّة، فإذا كان المعنى سببا، ورصف الكلام جيّدًا كان أحسن مَوْقعًا، وأطيب مستمعًا فهو بمنزلة العقد إذا جُعلَ كلّ حزرة منه إلى ما يليقُ بها كان رائِعًا في المرأى...**»(أبو هلال العسكري، 1998، صفحة 33).

ويتطرق إلى شروط الرّسالة اللّغوية :

1 . العذوبة والجزالة والسّهولة والرّصانة مع السلاسة والنّصاعة.

2 . الرّونق والطّلاوة وجودة التّأليف والابتعاد عن سماجة التّركيب وإصابة الهدف وهو الفهم.

3 . إصابة السّمع واستجابة جوارح البدن له، فتسكن إلى اللّطيف وتنفوا الغريب.

4 . الابتعاد عن الكلام المضطرب لأنّه لا يُقابلُه إلاّ الفهم المضطرب: « **ولَيْسَ الشّأن في إيراد المعاني (.....) وإنّما هو في جودة اللّفظ، وصفاته وحُسْنِه وبهائه ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحّة السّبك والتّركيب والخُلّو من أوّدِ النّظم والتّأليف، ولَيْسَ يُطْلبُ من المعنى إلاّ أنْ يكون صوابًا.....**». (أبو هلال العسكري، 1998، صفحة 24)

ويتطرق إلى المقام حيث ينبغي على المتكلّم أن يَعْلَم بمقام رسالته ولاَ يَجْهَلُه: « **وَلاَ يكلّم سَيّد الأمّة بكلام الأمّة، ولا الملوك بكلام السّوْقَة، لأنَّ ذلك جَهْلٌ بالمقامات (.....) وأحسن الّذي قال: لكلّ مقامٍ مَقالٍ** ». (أبو هلال العسكري، 1998، صفحة 33)

ومن ثمّ نتوصل إلى أنْ أبا هلال العسكري تحدّث عن ثلاثة أنماط للاتصال:

. الاتصال اللّفظي (الكلام).Verbal communication

- الاتصال غير اللّفظي Non-verbal communication

. الكتابة writing

فالاتصال غير اللّفظي ورَد في الإشارة: « **الإشارة أنْ يكون اللّفظ القليل مشارًا به إلى معانٍ كثيرة، بأسماءٍ إليها ولَمْحَةٍ تدّل عليها**».(أبو هلال العسكري، 1998، صفحة 358)

وعن الكتابة ينبغي أنْ يلتزم الكاتب شروطها: « **ينبغي أنْ تَعْلَم أنَّ الكتابة الجيّدة تَحْتاج إلى أدوات جُمّة وآلات كثيرةٍ من معرفة العربية لتَصحيح الألفاظ وإصَابة المعاني.....** »(أبو هلال العسكري، 1998، صفحة 160).وتحدث أيضًا عن عوائق الاتصال كالإطناب والإسهاب: « **وسبيل ما يكتب في الاعتذار من شيء أن يتجنب فيه الإطناب والإسهاب** ». (أبو هلال العسكري، 1998، صفحة 164)

وهذّه هي التصورات الّتي أتى بها علماؤنا القدامى والّتي تقارب نظريات الاتصال من حيث عناصرها وأشكالها وأهدافها.

5.الاتصال عند المحدثين:

بما أنَّ اللّغة هي جسر التّواصل بين الأممّ والشعوب وفي شيء الميادين فإنّ المحدثين عالجُوا اللّغة وما تحويها من عناصر تركيبيّة ذات علائق متجانسة فيما بينهما:

01 . فاردين دي سوسيرF De saussure (1857 / 1913):

تطرق دي سوسير للاتصال في مرحلته الأولى، أي ظاهرة التخاطب، فميّز بين مصطلحات تمثلت في اللّغة واللّسان والكلام، ورأى أنّ التّواصل اللّغوي مجموع العادات اللّغوية الّتي يمارسُها، الفرد وتسمع له بأي يفْهم ويُفهم ».(فرديناند دي سوسير، 1986، صفحة 99)

فوضَع مخطَطًّا أوّليّا يتطلب وجود مُرْسل إليه وكلمات متبادلة بينهما لتكوين أفكار تنتهي إلى غاية كما هو مبين في الشكل:

الشكل رقم01: مخطط التخاطب المبدئي عند دي سوسير

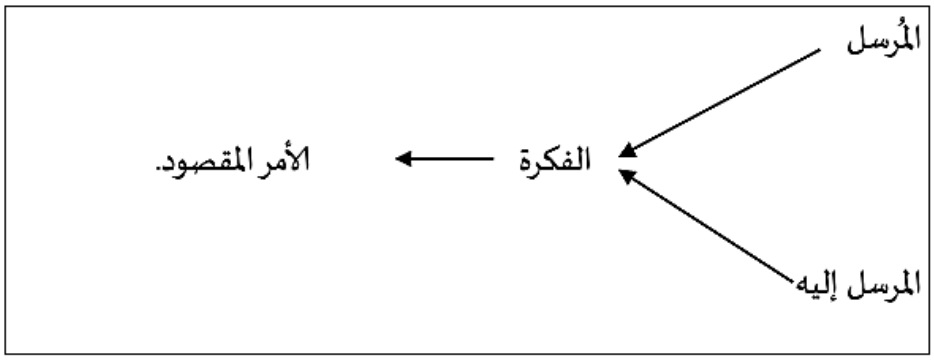

المصدر:رونالد ايلوار، مدخل إلى اللسانيات ترجمة بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق 1980، ص47

وبعد توسيع في المخطط بافتراض وجود شخصين على الأقل كي تكتمل الدّارة الكلامية، فيفترض المتحدث " أ" حيث تترابط تلك التّصورات (concept) مع العلاقات اللّسانية الّتي بواسطتها يمكن التّعبير، ويفترض، أنّ تصورًا ما يثير في

الدماغ صورة سمعيّة، فهي ظاهرة نفسية تتبعها مباشرة آلية فيزيولوجية حيث ينقل الدماغ إلى أعضاء النّطق ذبذبة تلازم الصّورة، ثمّ تنتشر الموجات الصّوتية من المتحدث " أ" باتّجاه أذن المتحدث.

ب . والعكس صحيح لأنّ الاتصال يتم بشكل دائري وقد مثّل ذلك في المخطط التاليّ:

الشكل رقم02: مخطط التخاطب في المرحة الأولى عند فاردیناند دي سوسير

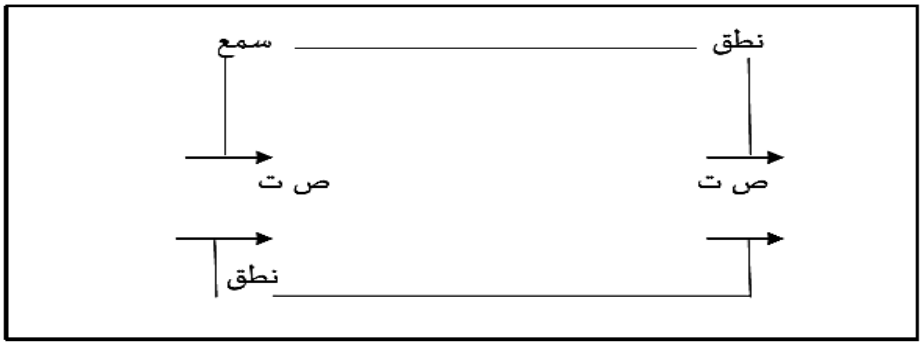

المصدر: فرديناند دي سوسير،محاضراتفيالألسنية العامة، ص23

وعند رونالد ايلوار نجد المخطط السويسري كما يلي:

الشكل رقم03:مخطط التخاطب عند دي سوسير

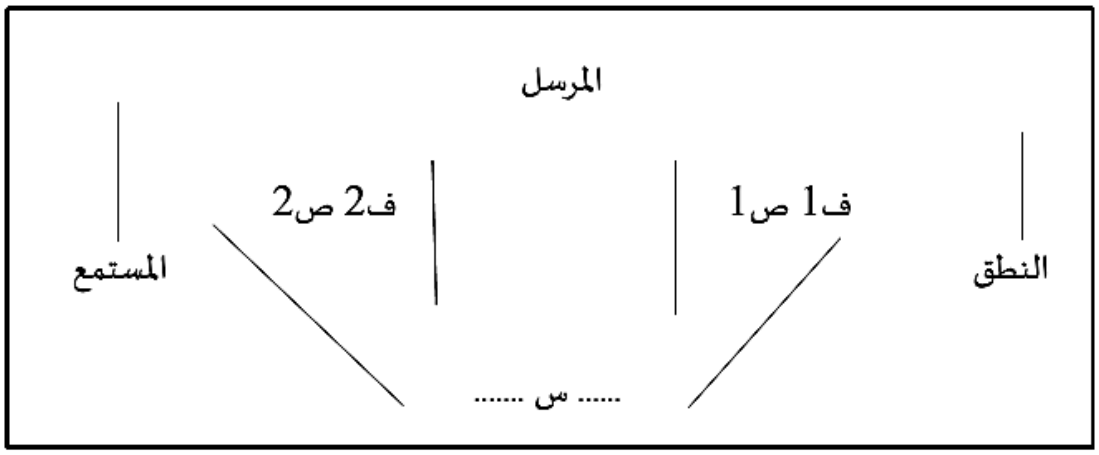

المصدر:رونالد ايلوار،مدخل إلى اللسانيات ،ص: 48.

ومن المخطط نجد أنَّ عملية التخاطب تتمثل في الإرسال والاستقبال عبر المسافة " س" وهو مخطط غير واف لا يتم بعمليّة من عمليات التواصل لأنّه يهمل القناة، والّتي تساعد على نقل الرّسالة وتبليغها وكذا السّياق أو الظروف المحيطة بالإبلاغ، فمحاولته كانت بمثابة الأرضية الأولى الّتي مهدت لتصورات لمثل هذه العملية.

إن عمليّة التّواصل قبل دي سوسير كانت تتم بتكوين الرّسالة ولفظها صوتيًا، وهي خاصّة بالمتكلّم، وتليها مرحلة انتقال الأمواج الصّوتية عبر الهواء إلى أذن المستمع في طريقا إلى دماغه والّتي تقوم فيها السامع بتفكيك تلك الرّسالة

ومعرفة بنيتها الصّوتية والصّرفية والنحوية ليستخلص المعنى الّذي يقصده. (عبد الجليل مرتاض، 2000، الصفحات 36-37)

الشكل رقم 04: الاتصال اللفظي

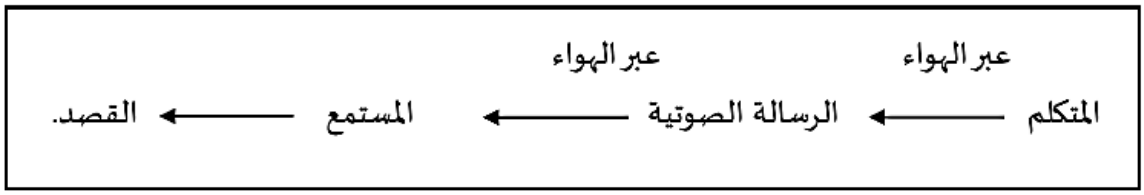

المصدر:عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، ص: 37.

03 . جيرو لدكاتزgerroldkatz:

يرى جيرو لدكاتز «أنَّ التواصل اللّغوي مسارٌ يكون المعنى الّذي يقرن به المتكلم الأصوات هو نفس المعنى الّذي يقرن به المستمع الأصوات نفسها، فقد يكون من الضروري أن نستخلص من ذلك أن متكلميّ لغة طبيعية معينة يتواصلون فيما بينهم في لغتهم، لأنّ كلا منهم يمتلك بصورة أساسية تنظيم القواعد نفسه ويتم التواصل.... ». (ميشال زكريا ، 1980، الصفحات 82 – 83)

ويشترط جيرو لدكاتز أنّ التّواصل اللّغوي ينبغي أن يكون على مسار واحد في حمل المعنى نفسه عند المتكلّم والمستمع، فيتواصلان بلغة طبيعية واحدة بدافع أنّ الطرفين يمارسان نفس القواعد اللّغوية ويتبادلان المتكلّم والمستمع الرسالة الّتي تصل في وهلتها الأولى على شكل تمثيل صوتي وحينها يتم الإرسال والاستقبال، وهذا التّواصل يتم عبر أعضاء نطقية وسمعية أي مشاركة الجانب الفيزيولوجي في العملية التّبْليغية وحينها يتحقق الاتصال في ظل نظام قواعدي لغوي معادل ومكافئ.

04 . رومان جاكبسونRoman ossipovitrgakobson (1896 . 1982):

ركز رومان ياكبسون على دراسة اللّغة في ظل تنوع وظائفها، وفي سياق حديثة عن الوظيفة الشعرية Fonction poetique أنّه يقدم صورة عن العناصر المكوّنة لكل سيرورة لسانية ولكلّ فعل تواصليّ لفظي، حيث يوجه المرسل رسالة إلى المرسل إليه أي المستقبل، ولكي تكون الرّسالة فعّالة فإنّها تستلزم سياقًا تصل إليه، وهو قابلٌ لأنّ يدركه المرسلُ إليه، ويشترط أن يكون لفظيًا، أو قابلاً لأن يكون كذلك، وتتطلب الرّسالة سننًا أو رموزًا مشتركة.

بين الطّرفين، وهذه الرّسالة لا بدّ لها من اتّصال، أي قناة فيزيقية الّتي هي بمثابة الرّبط النفسي بين المرسل والمرسل إليه، يعني ذلك اتّصالاً يسمح لهما بإقامة التّواصل والحفاظ عليه وهذه العناصر متكاملة، ولا يمكن الاستغناء عليه، وغياب عنصر يؤدي إلى خلل».(ياكبسون، 1988، صفحة 27)

وقد شغل ياكبسون هذه العناصر في الشكّل التالي:

الشكل رقم05: مخطط التواصل عند ياكبسون.

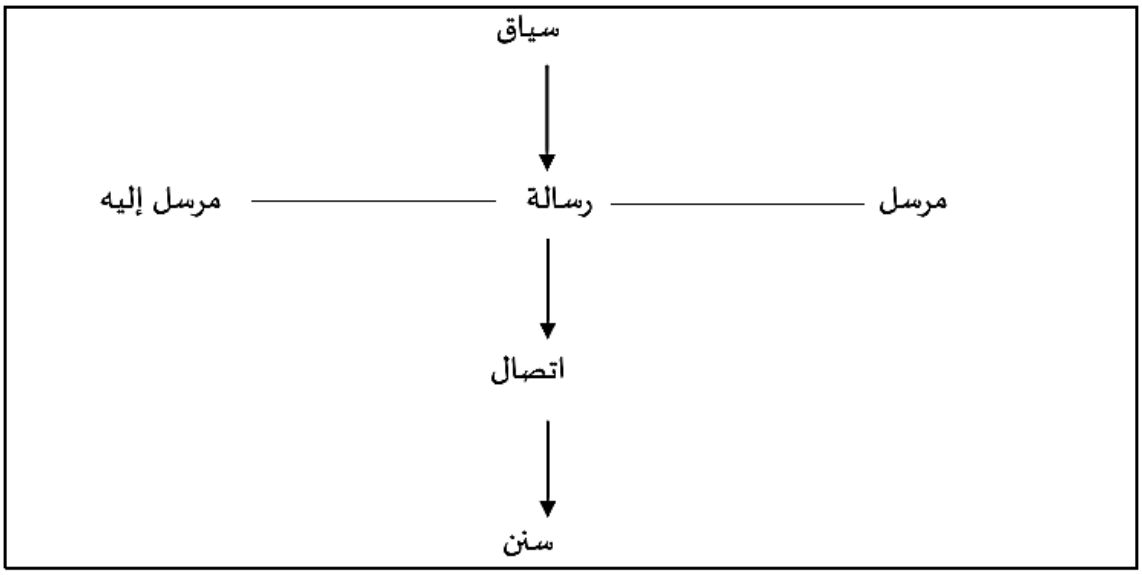

المصدر:ياكبسون،قضايا الشعرية، ص21.

فكلّ عنصر يمثّل عنده وظيفة لسانيّة مختلفة، ومن ثّم كان تنوع الرّسائل، وهذه الوظائف تتفاوت فيما بينها في كل رسالة، ومن خلال بنيتها اللّفظية، فإنَّ هناك وظيفة سائدة وأطلق عليها بالوظيفة المهيمنة، وقد حددّ هذه الوظائف كما يلي:

أ . الوظيفة الانفعالية Fonction emotive:

ترتكز على المرسل الّذي يعبر عن موقفه اتجاه ما يتحدث عنه، وهي تمثّل الضمير " أنا" وتشمل صيغ التّعجب.

ب . الوظيفة الإفهاميةFonction conative :

وتجعل نصب اهتمامها المرسل إليه وتمثّل الضّمير" أنت" وتحوي الأساليب الإنشائيّة كالنداء والأمر.

ج . الوظيفة الانتباهية : Fonction phatique :

تعمل على إثارة انتباه المخاطب ومهمتها تمثيل التّخاطب والحفاظ عليه نحو: (ألو. أتسمعني؟).

د . الوظيفة الميتالسانية: وظيفة ما وراء اللّغة Fonction meta linguistique :

ويطلق عليها أيضا شرح وتفسير، وتؤكد على أنّ المرسِل والمرسَل إليه يستعملان نفس السنن نحو: (ما تقول؟).

هـ . الوظيفة المرجعيّة Fonction referentielle:

وتتعلق بالمرجع أو السياق الذي يؤول إليه كلّ من المرسِل والمرسَل إليه ويختلف حسب الرّسالة: سياق ثقافي، اجتماعي.....

و . الوظيفة الشّعرية Fonction poetiue:

وتدرس الرّسالة نفسها حين تنطلق من اللّغة إلى في ذاتها.

وحسب عناصر التّواصل عنده، فقد مثّل الوظائف بخطاطة كالآتي: (ياكبسون، 1988، صفحة 33)

الشكل رقم05: وظائف التواصل عند ياكبسون

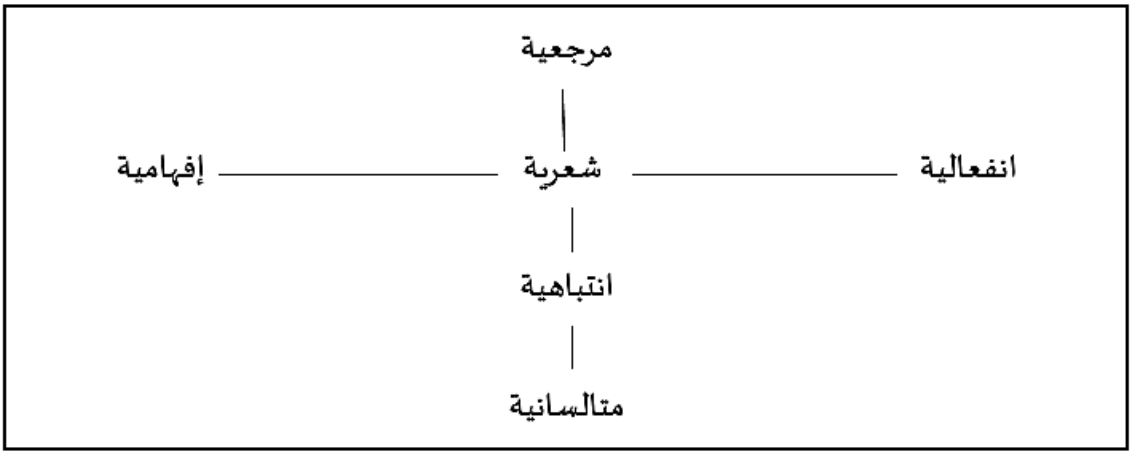

المصدر:ياكبسون،قضايا الشعرية،ص32.

ويتطلّب المخطط الياكبسوني للتّواصل ستة عناصر أساسية لابدّ من توافرها في الخطاب اللّساني، عن طريق تبادل الطرفين رموزًا مشتركة ضمن سياق معين، بفضل قناة اتصّال لضمان ديمومة الاتّصال.

05. نايف خرما:

رأى " نايف خرما" أنّ اعتبار اللّغة وسيلة للاتّصال ليس تعريفا دقيقًا وتبريره أنّه يمكن التواصل بين الناس بوسائل غير لغوية، كالإيماءات والإشارات وليس هو الوظيفة الوحيدة للغة، إضافة إلى أنّها توصيليّة فإنّها تشمل وظائف أخرى، فاكتساب أيّ فرد للغة يشعره بالانتماء للمجتمع، وعن طريقها يحاول التأثير في الوسط المحيط به، وكذلك تعبّر عن الفكر والمشاعر والعواطف، كما أنّها تحفظ تراث أو حضارة المجتمعات من جيل لجيل. (نايف خرما ، 1978، صفحة 31)

ولكن بعد ذكره للوظائف الّتي تؤديها رأى أنّ: «**وَظِيفتَهَا كَوَسِيلَة للاتِصَال بَيْنَ البَشَر أَهَم تِلك الوظائف جميعًا** ». (نايف خرما ، 1978، صفحة 32)

كَمَا أنَّه يتحدث عن الاتّصالات السّلكية واللاسّلكية وكذا الجانب الإحصائي والحسابي ويقصد نظرية المعلومات theoried informations الّتي تهتم بالدّعابة والإعلان، وهما من أخطر الوظائف اللّغوية في يومنا هذا.

ويتطلّب التّواصل اللّغوي عناصر هي نفسها عناصر الاتّصال من مرسِل يتطلّب نظامًا رمزيًا ينقل إلى المرسل إليه بواسطة القناة أو الناقل، ويفكك رموز الرّسالة ويحلّلها، ومن وجهة نظره، فإنّ هذه العناصر لا تتعلق باللّغة البشرية، وإنّما تتوفر في عملية الاتّصال الأخرى، كالإشارات وغيرها، كما أنّه لم يقص السّياق من هذّه العملية.

06. مازن الوعر:

إنّ اللّغة تعد من أهمّ الفعاليات في عمليّة الاتّصال الّتي بواسطتها نُبلغ بعضنا البعض، وبها أيضا يُمْكن للمجتمع أنْ يسير نحو الرّقي، ولكنّه على الرّغم من وجود اختلاف بين مفهومي التّبليغ والاتّصال واللّغة. (مازن الوعر، 1988، صفحة 30)

إلاّ أنَّ الهدف الرئيسي منها هو الاتّصال والتّبليغ: « **عِنْدمَا نَرى مُتَكلّمِينْ يتَكلّمَانِ العَرَبيَة مَثَلاً فإنَّ ذَلِك يَعْنِي أَكْثر منْ اسْتعمَال النُّطق المُشْترك أو النِّظام النَّحْوي الوَاحِد الّذي ينظم نَفسْ الكلمَات بعَمليَات فِكْرية مُعقّدة، ورُبمَا هذا ما يُعبرْ عَنْهُ في عِلم اللّسَانيَات بالكفَاءَة اللُّغَوية (competence) الّتي تتَجلَى منْ خلاَل مَا يُعبّر عنْهُ بالأداءِ اللّغوِي (performance)**». (مازن الوعر، 1988، صفحة 31)

وأخذ هذا الموضوع يشغل الباحثين من جهة الطرائق الّتي يمكن بها تطوير تكنولوجيا الاتّصال، وتعترض هذه الوسيلة مشكلات عديدة تؤثر على حياتها، وضرّب مثالاً على صعوبة التّبليغ لتلك العلاقة المباشرة بين الطّبيب والمريض، إذ يواجه المرضى الكثير من الأحيان صعوبة في إيجاد الكلمات المناسبة لوصف أعراض مرضهم والشيء نفسه الطبيب الذي إذا صاغ عبارة غير مفهومة، أو مبنية على أساس تشخيصي غير سليم فإنّ ذلك يؤثر على المريض. (مازن الوعر، 1988، صفحة 31)

ولذلك اهتمت جامعات العالم بهذا الحقل حيث أضافت موّاد جديدة، كمادة الاتّصال والإدارة ومشاكل الاتّصال واللّغة والاتّصال. (مازن الوعر، 1988، صفحة 32)

ومن ثمّ فإنّ اللّغة تحتل مكانة بارزة، إذ استحوذت فكر الدّارسين، باعتبارها الحيز وتنصهر فيها مختلف الأفكار والحضارات واللّهجات واللّغات، فاللّغة أداة للتبليغ والتّوصيل، إذ بها نتعرف ونتوصّل إلى مدلولات الكون.

07 . مصطفى حميدة:

استمرت الدّراسات اللّغوية حول هذه العملية الّتي تمثّل الوظيفة الأساسية للّغات البشرية وهي تتمثّل: « **في نَقْلِ رِسَالَةٍ Messageمن مُرْسلٍ(هُو المُتكَلّم speaker أو المُتَحدّث أوْ البَاث) يُرْسِلُها إلى آخر مُسْتَقبِل لَها (وهُو المُتلّقِي أوِ المُخَاطِب أو السَّامع hearer مِنْ خِلال قَنَاة Channel هيَ الهوَاء في حَالَة الاتّصَال الشَّفَهي وتُسَمَّى أيضًا الوَسِيط أو النَّاقِل medium) ويَشْترِط أنْ يكُونا طرَفَا الاتّصَال (المتكلم والمتلقي) مُتفِقين منْ قبل عَلى نِظَام رَمْزي symbolissysteme (ويُسَمّ أيْضًا الرَّامزَة code) ويتَكوّن هذا النظام منْ عَلامَات لُغويَة linguisitiquesingsهيَ الألفَاظُ وهيَ تتَألّف منْ عناصِر لّغوِية linguisitiqueelements هي الفُونِيمَات (أي: الوَحَدات الصّوْتية)، والمُورْفيمَات (أي: الوَحَدات الصّرفية) morphemes ويتضَّمن هذَا النّظام بالإضَافة إلى ذَلك مِن القوَاعِد المَضْبُوطَة هي قواعد النّحو gramar، تَحْكم هذه العلاَمَات والعَنَاصر وتنسّق بينَهَا**». (ياكبسون، 1988، صفحة 14)

وَقَد بُسّطَ هذا التمثيل الدقيق عملية التّواصل اللّغوي، وحدّد عناصرها إلاّ أنّه أقصى الغرض أو الهدف لأنَ وراء كل عملية تواصل، هدف يرمى إليه المرسل أو المتكلم، وهذه العملية تتّم ضمن سياق، ولعلّ ذلك توفر ضمْن الكلام أو التحليل لأنّ تفصيل العبارات إلى وحداتها الصّغرى لا محالة يكون ضمن سياق معين ويمكن أن نمثّل بالمخّطط التالي:

الشكل رقم06: مخطط التواصل اللّغوي.

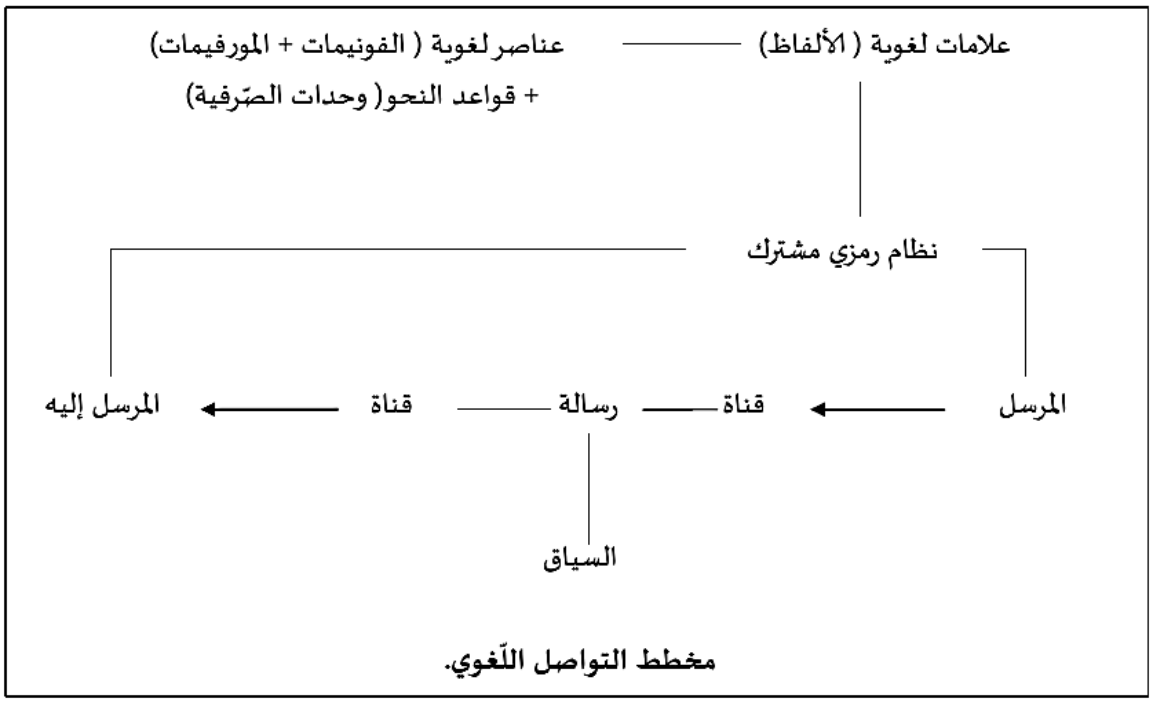

مخطط التواصل اللّغوي.

المصدر:مصطفى حميدة،نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، سلسلة لغويات، ص 14

خاتمة:

وعليه فإنّ العلماء العرب القدامى اهتموا بدراسة الاتّصال فأشاروا إليه باسم البيان والبلاغة كما هو عند المبّرد وابن وهب الكاتب وأبو هلال العسكري وغيرهم، ممّا أثبتوا حقيقة الاتّصال بأنماطه مثلما ورد عند علماء الاتّصال أنّه أساس كل تفاعل اجتماعيّ وهو ضروري لاجتماع البشر وقضاء حاجياتهم.

وعلى هذا الأساس كان للعرب القدامى تصورات اتصالية تقترب من نظريات الاتصال المعاصر من حيث مفهومه وعناصره وأشكاله و انماطه ووظائفهوالعوائق التي تفشل هذه العملية.

ومن ثم يمكن للباحث تسليط الضوء على ما قدمه التراث و ما يزخر به الفكر العربي التراثي من مقاربات حساسية معاصرة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

01 -ابن جني. (1983). *الخصائص، تح: محمد علي النجار*. بيروت: عالم الكتب.

02 -ابن منظور. (1997). *لسان العرب مادّة وَصَلَ*. بيروت: دار صادر.

03 -أبو هلال العسكري. (1998). *الصناعتين، تح: محمد علي البجاوي، وحمد أبو الفضل إبراهيم* . بيروت: المكتبة العنصرية.

04 -الجاحظ . (2002). *الحيوان، تح محمد باسل عيون السود*. بيروت: دار الكتب العلمية.

05 -الجاحظ. (1995). *البيان والتبيين ،تح،عبد السلام محمد هارون،*. بيروت : دار الجيل .

06 -الفيُّومي المقري. (1987). *المصباح المنير، الفيُّومي*. مكتبة لبنان.
07 -المبرد . (1999). *الكامل في اللغة والأدب*. بيروت: مؤسسة المعارف.
08 -جيهان احمد رشتى. (1978). *الأسس العلمية لنظريات الإعلام*. مصر: دار الفكر العربى للطباعة والنشر.
09 -حسن عماد المكاوي ، و ليلى حسين السّيد. (2004). *الاتصال ونظرياته المعاصرة*. القاهرة: دار المصريّة اللّبنانيّة.
10 -حمد رشاد الخمراوي. (1982). *العربية والحداثة أو الفصاحة، فصاحات*. تونس: منشورات المعهد القومي لعلوم التّربية .
11 -سبويه. (1988). *الكتاب*. القاهرة: مكتبة الخانجي.
12 -صالح خليل أبو أصبع. (1998). *العلاقات العامّة والاتّصال الإنساني*. دار الشروق.
13 -صالح خليل أبو أصبع. (بلا تاريخ). *نصوص تراثية في ضوء علم الاتصال المعاصر*. دار إعلام.
14 -عبد الجليل مرتاض. (2000). اللّغة العربية والاتّصال. *مجلّة أعمال الموسم الثقافي*.
15 -عبد العزيز شرف. (بلا تاريخ). *المدخل إلى وسائل الإعلام*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
16 -فرديناند دي سوسير. (1986). *محاضرات في الألسنية العامة، ترز: يوسف غازي ومجيد النصر*. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة.
17 -فضيل دليو. (1998). *مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيري*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
18 -مازن الوعر. (1988). *قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث*. دمشق سوريا: دار طلاس.
19 -مختار محمد فؤاد. (1992). التّواصل والاتصال دراسة مقارنة للتّعرف على الأمثال الشعبية. *المجلة الجزائرية للاتصال*، .
20 -ميشال زكريا . (1980). *الألسنة علم اللّغة المبادئ والأعلام* . بيروت: المؤسسات الجامعية للدراسات.
21 -نايف خرما . (1978). *أضواء على الدراسات اللّغوية المعاصرة*. الكويت.
22 -ياكبسون. (1988). *قضايا الشعرية ، ترجمة محمّد الولي ومبارك حنون*، دار توبقال.
23- ELement de semantique . (s.d.). do hnLyxons Traduction de g Durand .
24- Lucien SFES . (1993). *Dictionnaire cvitique de la communicatio* .
25- Tzvetan Todorov, & Oswald Ducrot. (1972). *Dictionnaive cncyclopedique des sciences du langage*. Edition du seuil .